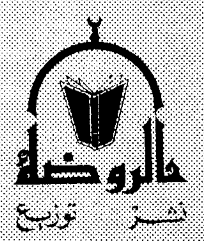
إعدام كاهانا

إعدام كاهانا

الجذور الإسلامية لسيد نصير

د. محمد مورو



مقدمة

من منا لم يشعر بالفرح عندما سمع بنبأ اغتيال الحاخام كاهانا .. ومن منا لم يتضاعف فرحه عندما علم أن قاتل كاهانا مصرى من مدينة بور فؤاد الباسلة .

لقد فرحنا رغم أننا ننتمى إلى حضارة لا تحبذ العنف ولا تجيزه إلا فى حالات الدفاع الشرعى عن النفس أو لإزالة الاستكبار وتحرير الإنسان وإقامة مجتمع العدل والحرية ، نعم فرحنا لأن إعدام كاهانا يأتى من صميم حالة الدفاع الشرعى عن النفس والعرض والمقدسات والأرض وحرية شعب فلسطين وحقه فى تحرير كل التراب الفلسطينى من النهر إلى

البحر ومن الجنوب إلى الجنوب وإنتقاماً من ممارسات الكيان الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى والقدس والأقصى .

وتضاعف فرحنا لأن انتماء سيد نصير إلى الشعب المصرى يؤكد أن هذا الشعب ما زال فى قلب خندق الجهاد ضد الكيان الصهيونى إنطلاقاً من عقيدة الإسلام وإيماناً بأن القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية ورفضاً لمسيرة التصالح والتطبيع مع هذا الكيان العدوانى الحاقد على أمة الإسلام وحضارة الإسلام .

د. محمد مورو

القاهرة ٢٠ نوفمبر ١٩٩٠

تفاصيل الحادث

بينما كان الحاخام مائير كاهانا يلقى خطابا فى نحو ستين رجلاً من أنصاره فى صالة المؤتمرات فى الطابق الأول من فندق هالوران هاوس بحى مانهاتن بمدينة نيويورك الأمريكية - دخل إلى القاعة شاب نحيف ذو لحية تأخذ الطابع الإسلامى وتظاهر بالإستماع إلى محاضرة مائير كاهانا .

قال كاهانا كلامه التقليدى الذى يقول مثله في كل محاضرة « ليس أمام عرب فلسطين إلا الموت أو الطرد » قالها بصوت عال فيه نبرة غطرسة وغرور - بينما قال الشاب النحيف بصوت لم يسمعه أحد « فلسطين إسلامية رغم أنف الصهيونية » .

وعندما وقف مائير كاهانا ليتلقى بعض الأسئلة من

الحاضرين - اتجه نحوه الشاب النحيف - سيد نصير - فى هدوء وثبات وكان مبتسما وبادره بإطلاق رصاصتين أصابت إحداهما عنق الحاخام وأصابت الثانية صدره ونقل الحاخام إلى المستشفى الذى أعلن وفاته بعد خمسين دقيقة فقط من وصوله .

خرج السيد نصير من الفندق بعد أن جرح برصاصه أحد الزبائن وبينما كان يستعد لإجبار سيارة أجرة على نقله حاول رجل شرطة متقاعد تصادف وجوده فى المكان فى ذلك الوقت اعتراض سيد نصير فتبادل معه إطلاق الرصاص وأصيب كل منهما .

انتقل السيد نصير إلى المستشفى - ووضع تحت حراسة مشددة - وعندما علم بموت كاهانا برصاصات مسدسه ابتسم فى سعادة - لقد أدى شيئا من واجبه نحو فلسطين - نحو القدس - نحو أمته

الإسلامية .

وواجه سيد نصير المحقق الأمريكى الذى وجه إليه ثلاث تهم من بينها قتل كاهانا وحيازة أسلحة غير مشروعة - ولكن سيد لايعبأ بتلك التهم - لأنه يعرف أن طريق الجهاد فى سبيل الله نهايته الطبيعية الاستشهاد .



مائير كاهانا .. وسيد نصير

ولد مائير كاهانا - واسمه الحقيقى مارتن ديفيد ولقبه مايكل كينج عام ١٩٣٢ فى مدينة نيويورك وهى المدينة التى لقى فيها حتفه .

وفى سيرة كاهانا الشخصية[١] فإنه ولد فى حى بروكلين بنيويورك لأبوين مهاجرين من أوروبا الشرقية وكان والده حاخاما أيضا ، وتأثر كاهانا بأفكار جابوتنسكى استاذ بيجين وأحد المتطرفين الإسرائيليين الأوائل - وكان جابوتنسكى يرتبط بصداقة قوية مع والد كاهانا ، وعمل كاهانا بين عامى ١٩٤٦ , ١٩٥١ فى صفوف حركة بيتار وهى حركة للشبيبة الصهيونية اسست عام ١٩٢٣ على نهج أفكار الزعيم الصهيونى زئيف جابوتنسكى ثم فى

صفوف حركة بيناه اكيفاه عانى ١٩٥٣ - ١٩٥٤ .

درس كاهانا فى مدرسة تلمودية بحى كوينس فى نيويورك وتم تعيينه حاخاما سنة ١٩٥٧ ، كما حصل على شهادة فى العلوم السياسية ودبلوم فى القانون وماجستير فى العلاقات الدولية من جامعة نيويورك ، كما عمل صحفيا فى صحيفتى « بروكلين ويلى » و« جولين برس » ، أسس كاهانا رابطة الدفاع اليهودية سنة ١٩٦٨ .

وحسب المصدر المشار إليه فى الهامش - وهو « القانون السياسى لدولة إسرائيل » الصادر فى نيويورك فإن مائير كاهانا كان على علاقة بعصابات المافيا حيث أنه فى عام ١٩٧١ كان قد سجن بسبب حيازه سلاح بطريقة غير مشروعة وأفرج عنه بكفالة دفعها زعيم المافيا جوزيف كولومبو .

شارك كاهانا بحماس شديد فى جمع التبرعات لإسرائيل ، كما اشترك بنفسه واشتركت منظمنه الإرهابية « رابطة الدفاع اليهودية المسلحة » فى الكثير من أعمال العنف ضد العرب وغير العرب دعما للكيان الصهيونى . فقد شارك كاهانا ومنظمته فى ٧ عمليات نسف وانفجارات داخل الولايات المتحدة الأمريكية استهدفت شخصيات عربية أو مصالح سوفيتية للضغط على الاتحاد السوفيتى للسماح بهجرة اليهود السوفيت - وذلك فى الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١ - كما قامت منظمة كاهانا بمحاولة فاشلة لتهريب أسلحة من إسرائيل إلى إيطاليا لمهاجمة السفارة الليبية فى روما سنة ١٩٧٢ .

هاجر كاهانا إلى إسرائيل سنة ١٩٧١ بمساعدة جيئولا كوهين نائبة البرلمان الإسرائيلى واسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل حالياً . وقد نسق كاهانا مع

شامير عدد من العمليات للضغط على الإتحاد السوفييتى للسماح بهجرة اليهود السوفييت عن طريق عمليات العنف ضد المصالح السوفييتية .

فى سنة ١٩٧٢ أسس كاهانا حركة «كاخ» العنصرية اليهودية التى بدأت حملة واسعة لبناء المستوطنات الصهيونية فى قلب المناطق العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ كما تبنت حركة كاخ عملية إرهاب العرب فى فلسطين المحتلة بهدف ترحيلهم عن الأراضى المحتلة كما تورطت الحركة فى الكثير من أعمال العنف ضد العرف والتصفيات الجسدية وإطلاق الرصاص . وذلك تحت شعار «الرحيل أو الموت» ولم يقتصر الأمر على عرب الأراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ بل طالت كل العرب المقيمين داخل الكيان الصهيونى حتى أولئك المقيمين فى المناطق المحتلة سنة ١٩٤٨ .

عمد كاهانا إلى محاولة بعث أسطورة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى . كما قامت العناصر الموالية له بأكثر من محاولة لإحراق المسجد الأقصى أو تنفيذ حفريات تحته بهدف تقويضه بحجة البحث عن هيكل سليمان .

نجح كاهانا فى أن يصبح عضواً فى البرلمان الصهيونى «الكنيست» سنة ١٩٨١. ويرى كاهانا أن حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات وأن الأردن هى الأرض الشرقية لإسرائيل .

* * * * *

أما سيد نصير ـ وبالتحديد سيد عبدالعزيز نصير[٢] من مواليد بورفؤاد عام ١٩٥٥ ـ تخرج فى كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان عام ١٩٧٨ ـ تولى حراسة مرمى جامعة حلوان طوال سنوات الكلية،

عمل بشركة الإنشاءات البحرية عقب تخرجه من الجامعة ، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٩٨١/٧/١٤. عمل فى أمريكا فنى صيانة تكييف وتبريد بوزارة العدل ، تزوج عام ١٩٨٣ من فتاة أمريكية مسلمة وأنجب منها طفلين هما عبدالعزيز وعبدالرحمن وطفلة واحدة هى نورا.

نشأ سيد فى حى شعبى فى بور فؤاد وأثرت عليه مثل غيره الثقافة الشعبية وهى إسلامية فى مجملها ، الوالد موظف بسيط فى شركة الإنشاءات البحرية وهو الآن على المعاش ، الأم سيدة مثل كل السيدات فى مصر شديدة التدين تبث فى أولادها الروح الإسلامية من خلال الحكايات الشعبية البسيطة وقد توفت تلك السيدة عام ١٩٨١ وكان السيد شديد الارتباط بها .. الأسرة مكونة من الأب ـ الأم ـ خمسة من الأولاد .

درس سيد نصير فى مدرسة النصر الإبتدائية ببور فؤاد كان يمتاز بجسم رياضى ويميل إلى لعب الجمباز ونبغ فى حراسة المرمى كما نبغ فى الرسم ، هادىء ، وديع ، نحيف . التحلق بمدرسة بور فؤاد الإعدادية عام ١٩٦٦ ، جاءت نكسة ١٩٦٧ .. يهاجر مع أسرته ، يحصل على الثانوية العامة ، يلتحق بكلية الفنون التطبيقية، يتخرج منها ، يعود إلى بور فؤاد ، يسافر إلى أمريكا سنة ١٩٨١ ، يقتل كاهانا عام ١٩٩٠ .

ولنحاول الآن إلقاء المزيد من الضوء على حياة سيد نصير والظروف المحيطة به لنعرف دوافع الرجل لإغتيال الحاخام كاهانا .. يقول الصحفى عاطف حزين[٣] وهو زميل دراسة لسيد نصير : «شغوف بالفنون ، وسيم جداً ، مؤدب جدا ، مثقف جداً جداً ، تعلمت منه الكثير ، كلما كتب أو رسم أرانى وبهرنى،

كلما اشترى كتاباً جديداً لا يبخل فى إعارته لمن يحبونه .

عندما رأى فتاة أمريكية حسناء تشهر إسلامها فى المسجد فى أمريكا ، سأل عنها فقالوا له اسمها كارين لكنها اختارت اسم خديجة - وبدون تردد تقدم منها وقال لها : هل تقبلين الزواج منى ؟ وكانت الإجابة فى خطاب مستعجل أرسله السيد إلى الأب يطلب فيه مباركة هذا الزواج وسرعان ما وصل إليه الرد "مبروك يا عرب"(٤)» .

يقول أحد أصدقائه فى أمريكا : «إنه ملاك .. لا يعرف الكذب والخداع لم يتغير فى شىء منذ جاء إلينا ، بصراحة نحن نحسده على أخلاقه وزوجته سيدة فاضلة إنه إنسان من طراز فريد لا يتكلم كثيراً .. لم أرى دموعه إلا عندما وصلت إلينا أنباء مذبحة

المسجد الأقصى التى دبرها الإرهابيون اليهود »[٥].

أما الأب عبدالعزيز السيد نصير أو الحاج عبدالعزيز كما يطلق عليه أهالى بور فؤاد فيقول: «إن السيد ـ ابنه ـ كان تقياً يعرف الله تعالى وكان محبوباً من الجيران والأصدقاء وكان مشهوراً بالأدب والخلق وحسن السلوك »[٦] ويضيف الأب : «إننى أطالب الحكومة المصرية والدول العربية والإسلامية بالوقوف إلى جانب السيد لأن عمله كان فى خدمة العرب والمسلمين وأن كاهانا كان يطالب بقتل العرب والمسلمين وقد لقى جزاء دعوته وانتقم الله منه »[٧].

ويقول شقيقه محمد نصير : «انه عرف الخبر من زملائه فى العمل الذين تجمعوا حوله فور وصوله إلى الشركة يهنئونه بعمل شقيقه السيد» ، ويضيف شقيقه: « ان السيد فعل هذا دفاعاً ونيابة عن كل

العرب والمسلمين»[٨].

أما شقيقته سهير فتقول : «انها خائفة من كيد اليهود لشقيقها فى الغربة»(٩).

أما الأم فيتكلم الأب عنها لأنها توفت منذ سنوات قائلاً: «لو كانت والدته موجودة لأعلنت اعجابها به»[١٠].

ويقول الأب أيضاً: «إن ابنه كان متديناً بفطرته وكان دائم التردد على المساجد»[١١]. ويؤكد على هذا المعنى صبرى رخا نقيب المهندسين ببورسعيد والمهندس أبوالعلا ماضى الأمين العام المساعد لنقابة المهندسين الذى كان قد التقى بسيد نصير فى المركز الإسلامى بنيوجرسى كما يؤكد عليه أيضاً ارتداء زوجته للحجاب الإسلامى وإلحاق أبنائه بمدرسة المركز الإسلامى فى نيوجرسى(١٢).

وإذا كانت تلك الصورة الخاصة بسيد نصير وبأسرته وبالظروف المحيطة به فإن فى جانب آخر من الصورة نجد تعاطفاً واضحاً وتأييداً كبيراً لما قام به سيد نصير، فالأب فخور به ، والأب أيضاً يؤكد أن الأم لو كانت ما تزال حية لكانت أيضا قد أعلنت إعجابها به وكذلك الأخ والأخت ـ بل أكثر من هذا أن جميع المحيطين بأسرة سيد من أقارب وأصدقاء أعلنوا اعجابهم بهذا العمل ـ كما قام الآخرون بتهنئة أهل سيد بهذا العمل ، ووصل الأمر إلى حد أن زملاء سيد ، المعلمين الذين درّسوا له ، أهل بورسعيد عموماً ، محافظ بورسعيد، مدير الأمن ، قيادات سياسية وشعبية قد أعلنوا أيضاً إعجابهم بهذا العمل(١٣).

وعلى المستوى المصرى والعربى والإسلامى نجد أن جميع الصحف العربية والإسلامية قد أشادت بالعمل واعتبرته عملاً عظيماً وكذلك التصريحات الشعبية

والسياسية الصادرة من مختلف الفعاليات السياسية بل وقام البعض بإعداد لجان للدفاع عن سيد نصير .

والدلالة الواضحة لكل ما سبق أن سيد نصير شاب هادىء ، فنان ، وسيم ، مؤدب ، شديد التدين ، يتردد على المساجد دائما .. زوجته ذات حجاب إسلامى ، هو نفسه يطلق لحيته . أى أن التصدى للصهاينة عمل طبيعى جداً يقوم به أى إنسان حتى ولو كان هادئاً وديعاً ، وأن التدين حافز هام للجهاد ضد إسرائيل ، وأن الباعث على إقدام سيد على قتل كاهانا كان باعثاً إسلامياً فالأب نفسه يحدد الباعث بأنه للدفاع عن العرب والمسلمين . أما من حيث الباعث المباشر فهو رد فعل على مذبحة الأقصى التى وقعت يوم ٨ أكتوبر ١٩٩٠ وراح ضحيتها ٢١ فلسطينياً وهى المذبحة التى أبكت سيد نصير على حد قول أحد أصدقائه المقيمين فى أمريكا ، كما سبق

أن أوردنا .

وإذا كان سيد نصير قد نفذ عملية اغتيال كاهانا إنطلاقاً من دوافع إسلامية واضحة ، وإذا كان عمله هذا قد حظى بالإعجاب والإشادة من الجميع ، فإن للمسألة دلالات هامة على المستوى الإسلامى والعربى والمصرى ، وإذا كان من المفهوم أن الإسلام يدعو للجهاد ضد كل اغتصاب لأجزاء من وطننا الإسلامى ، وإذا كانت فلسطين هى أرض المقدسات الإسلامية وإذا كان من الطبيعى أن يتعاطف العرب مع سيد نصير لأن الكيان الصهيونى خطر على مقدسات العرب ودينهم ووجودهم ذاته ، فإن الدلالة الأهم هنا هو ذلك الإعجاب والإشادة التى حظى بها سيد نصير على المستوى المصرى ، وذلك الإعجاب والإشادة تعكسان الإيمان المصرى الفطرى بالإسلام والوجدان الشعبى الإسلامى المصرى الذى جعل الشعب المصرى عموماً

يكره الكيان الصهيونى حتى النخاع ويعتبر نفسه فى طليعة المجاهدين من أجل فلسطين . بل ويعكسان أيضاً ذلك الرفض الواسع للتصالح مع الكيان الصهيونى أو عملية التطبيع معه بعد كامب ديفيد . وإذا كانت الحكومة المصرية قد عقدت اتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الصهيونى ، وإذا كانت بعض الأوساط تسعى لتحقيق مزيد من التطبيع وتسعى لعزل مصر عن محيطها الإسلامى عموماً وعن قضية فلسطين خصوصاً ، فإن هذا لا يعكس رأى الشعب المصرى بل هو عكس رأيه تماماً .. ومصرية سيد نصير تؤكد كل هذه المعانى ، فسيد نصير المصرى يقول برصاصاته التى أطلقها على كاهانا : إن الشعب المصرى وإنطلاقاً من وجدانه الإسلامى العميق يرفض الكيان الصهيونى ويرفض التصالح والتطبيع معه ، وأن الشعب المصرى فى طليعة المؤمنين بالدفاع عن

فلسطين وعن مقدسات المسلمين فى فلسطين وعن الشعب الفلسطينى وأن روح الجهاد ما تزال تسرى فى أعماقه وأنه لن يخمدها معاهدات توقعها السلطة أو دعوات مشبوهة تطلقها أوساط مشبوهة لعزل مصر عن قضايا العالم الإسلامى عموماً والقضية الفلسطينية خصوصاً .

ولعل من المفيد هنا أن نقرأ كلام أخت سيد مرة أخرى حيث تقول : «إنها خائفة من كيد اليهود» . وهى هنا تستعمل كلمة اليهود وليس الإسرائيليين كما يحلو للمثقفين أن يقولوا وهذا يؤكد عمق الرؤية الدينية لدى الأوساط الشعبية المصرية ويؤكد على نظرة الأوساط الشعبية للمسألة على أنها صراع دينى أساساً .



الخلفية الفكرية والسياسية

لسيد نصير

أغفلت المصادر الصحفية فترة هامة من حياة السيد نصير وهى الفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٨١ وهى أيضاً من أهم الفترات فى حياة السيد نصير لأنها فترة التشكيل السياسى له داخل الجامعة أو بعد التخرج وكذلك فترة اختيار القناعات السياسية وممارسة العمل السياسى بأى صورة من الصور . ولعلنا هنا نكمل الصورة برصد تلك الفترة من حياته وذلك من خلال العلاقة الشخصية التى جمعتنى به داخل الجامعة وتحديدا فى غرفة شباب الإسلام بكلية الهندسية جامعة القاهرة ثم اللقا ءات الفكرية التى كانت تضم

عدداً من المصريين والفلسطينيين فى الفترة من ١٩٧٨ ـ ١٩٨١ .

وفى الحقيقة فإن إلقاء الضوء على تلك الفترة من حياة السيد نصير يجيب على الكثير من الأسئلة حول الدوافع والتركيب السياسى والفكرى لسيد نصير الذى أدى فى النهاية إلى اتخاذه قرار إعدام كاهانا .

وبادىء ذى بدء ينبغى أن نقول ان سيد نصير ـ ذلك الفتى الهادىء الفنان المتدين ابن مدينة بور فؤاد وهى المدينة التى صمدت للعدوان الصهيونى سنة ١٩٦٧ . فعلى حين استطاع العدو الصهيونى أن يحتل كل الضفة الشرقية للقناة بسبب إهمال أو خيانة القيادة السياسية سنة ١٩٦٧ ، فإن مدينة بور فؤاد وحدها استعصت على السقوط وصمدت صموداً

مذهلاً أمام جحافل القوات الإسرائيلية برغم عدم تكافؤ القوى بين الطرفين . ومن المعروف أن مدينة بور فؤاد تقع فى الضفة الشرقية لقناة السويس أيضاً

إذن فسيد نصير ابن مدينة بور فؤاد رأى بنفسه وسمع، رأى بنفسه انسحاب الجيش المصرى نتيجة خيانة القيادة السياسية أو إهمالها ، رأى مأساة جيش وشعب فى عام ١٩٦٧ ، رأى الجنود العائدين بلا سلاح وقد تورمت أقدامهم ، وسمع منهم عن مأساة جيش مظلوم زجت به القيادة السياسية لكى يذبح على يد أبناء صهيون ـ وأدرك سيد أن الجيش كضباط وجنود لا تنقصهم الشجاعة ولا الرغبة فى القتال، ولكن القيادة السياسية لم تسمح لهم بالحرب

وأمرت بالإنسحاب .

وأدرك سيد وتأكد من صحة هذا الأمر ، عندما حاولت القوات الإسرائيلية بعد خمسة أيام فقط من حرب ١٩٦٧ أن تحتل مدينة بور فؤاد وذلك فى إطار رغبتها فى السيطرة على كل الضفة الشرقية لقناة السويس ، قامت الطائرات الإسرائيلية بدك المنطقة عدة مرات وتعرضت أيضاً تلك المنطقة إلى الضرب المدفعى الإسرائيلى وهجوم الدبابات عدة مرات ، ولكن مدينة بور فؤاد صمدت لتلك الهجمات المتكررة رغم الظروف النفسية الصعبة التى كان يعيشها جنود تلك المدينة بسبب هزيمة ١٩٦٧ . وبرغم عدم تكافؤ القوى بين الطرفين ، وبرغم أن بور فؤاد كانت وحدها هى المكان الوحيد على الضفة الشرقية للقناة التى لم يحتلها

الإسرائيليون استطاعت القوة المصرية الصغيرة أن تصمد ، وتكررت عمليات الهجوم والصمود ، وفى كل مرة كانت تلك القوة المصرية الصغيرة تنزل بالعدو الصهيونى أبشع الخسائر مما اضطره فى النهاية إلى إلغاء العملية .. وهكذا أثبتت تلك القوة الصغيرة أن العيب لم يكن فى الإنسان المقاتل ، وأن ذلك الإنسان إذا ما سمح له بالقتال فإنه ينتصر ويبلى بلاء حسناً .

عاش سيد نصير ذلك كله ، عاش الهزيمة ، عاش الصمود ، عاش المأساة وأدرك قوانين اللعبة واستفاد بدرس الصمود فى بور فؤاد ورأس العش ، وكان وقتئذ يبلغ من العمر اثنتى عشرة عاماً وهى سن حساسة لالتقاط المعانى الصحيحة وخاصة لمن يمتلكون نفسية ووجدان فنان مثل سيد نصير ، ثم عاش سيد

نصير مأساة التهجير كاملة عاشها بنفسه وبأسرته التى تركت مسقط رأسها فى بور فؤاد ورحلت إلى القاهرة لتعيش فى مكان جديد . وبديهى أن هذا ترك بصماته على وجدان السيد نصير وعلى تفكيره ، إذن فقد كان قدر سيد نصير أن يحتك بالقضية الفلسطينية وباليهود مبكراً جداً .. ففى سن ١٢ عاماً وجد نفسه وجهاً لوجه أمام اليهود . ثم وجد نفسه يعيش الصمود من خلال القوة الصغيرة التى تشبثت بمواقعها فى بور فؤاد ثم وجد نفسه أيضاً يعيش آلام التهجير وقسوة فراق مسقط الرأس . وكان هذا كله مرتبطاً باليهود وإسرائيل والقضية الفلسطينية .

وهكذا لم يكن غريباً على سيد نصير أن يهتم

اهتماماً خاصاً بالقضية الفلسطينية اهتماماً نابعاً من الظروف الخاصة التى عاشها سيد نصير ونابعاً من الوجدان الشعبى التقليدى للمصريين ، ونابعاً من تدين سيد نصير الشخصى وتمسكه بالإسلام .

ومع دخول سيد نصير إلى الجامعة سنة ١٩٧٣ . كان من الطبيعى أن يلفت نظره النشاط السياسى للاتجاه الإسلامى عموماً فى الجامعة . والذى كان يتمثل فى وجود عدد من التيارات الإسلامية بعضها يركز على الجانب الأخلاقى والآخر على مسألة التربية . وثالث على الوعى السياسى . وكان التيار المهتم بأسلوب التربية وهو التيار الإخوانى «نسبة إلى الإخوان المسلمين» أقوى تلك التيارات وأكثرها انتشاراً وكان على يمينه وعلى يساره تيارات أخرى .

ولكن أطروحات تيار التربية لم يكن يلبى طموحات سيد نصير . فوفقاً لما أوردناه سابقاً فإن سيد نصير المثقف جداً جداً ، الذى عايش الصدام والاحتكاك مع الكيان الصهيونى منذ طفولته وجد ضالته فى تيار متميز بالوعى والثقافة والاهتمام بالقضية الفلسطينية بصورة خاصة ، وكان هذا التيار متمثلاً فى جماعة شباب الإسلام والذى كانت كلية الهندسة جامعة القاهرة معقلاً له ، وأصبح سيد نصير يتردد على غرفة شباب الإسلام بكلية الهندسية جامعة القاهرة ، حيث المناقشات التى تدور حول الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وحيث الكلام عن قضايا العالم الإسلامى وخاصة القضية الفلسطينية وحيث اللقاء أمام مجلات الحائط التى كانت عناصر جماعة شباب الإسلام تقوم بتحريرها وتعليقها على حوائط

الكلية لرصد ومناقشة مستجدات وأحداث مصر والعالم الإسلامى .

وفى الحقيقة فإن تيار جماعة شباب الإسلام كان يهتم بالعمل الجماهيرى من خلال الندوات ـ إصدار الصحف والمجلات مثل مجة «وإسلاماه» . بل إن بعض عناصره قد أصدر بعض الكتب مثل وائل عثمان ، الذى أصدر كتاب «حزب الله ثقافة وأخلاقاً» وكتاب «أسرار الحركة الطلابية» وغيرهما من الكتب . كما اهتمت أدبيات تلك الجماعة بمناقشة قضايا العمال والفلاحين ، قضايا الغلاء والإسكان ، ضرورة مشاركة المرأة المسلمة فى النضال السياسى وغيرها من القضايا.

ومع زيارة السادات للقدس وتوقيعه اتفاقية «كامب

ديفيد » سنة ١٩٧٨ ومع بداية التطبيع مع الكيان الصهيونى وزيادة النفوذ الأمريكى فى مصر تبلور تيار جديد اهتم أساساً بالقضية الفلسطينية تحت شعار أن القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية ، واهتم هذا التيار اهتماماً خاصاً بقضايا العالم الإسلامى انطلاقاً من أن فلسطين قلب الأمة الإسلامية ، كما اهتم بقضايا الفقراء والمستضعفين والتصدى للنفوذ الأمريكى المتزايد فى مصر وأصدرت عناصر هذا التيار عدداً من المجلات والصحف بالإضافة إلى مجلات الحائط ، مثل صحيفة «صوت المستضعفين» ، صحيفة «المناوبة» التى اهتمت بأحوال الفلاحين . وكان هذا التيار يتكون من مجموعة من الشباب المصرى والفلسطينى الذين جمعت بينهم سنوات الدراسة فى الجامعات المصرية .

ووجد سيد نصير نفسه مرتبطاً بهذا التيار بدءا من عام ١٩٧٨ ـ ١٩٨١ ، وكان هذا التيار هو تيار الطلائع . وفى الحقيقة فإن اسم الطلائع الإسلامية إسم قد ارتبط بهذه المجموعة من الشباب بل بالتحديد أطلقته عليهم أجهزة المباحث التى بدأت ترصد نشاط تلك المجموعة ، وكانت تلك المجموعة تعقد جلسات مناقشة حول العديد من القضايا مثل جذور المشكلة الفلسطينية ، تاريخ فلسطين ، تاريخ الصراع مع الكيان الصهيونى ، أهمية دور مصر والشعب المصرى فى المواجهة مع الكيان الصهيونى ، خطورة عزل مصر عن محيطها العربى والإسلامى ، وخطورة خروجها من المعادلة العربية والإسلامية فى إطار الصراع مع إسرائيل ، خطورة الاختراق الأمريكى والإسرائيلى لمصر ، أهمية رفض كامب ديفيد وعمليات التطبيع

مع الكيان الصهيونى .. كما أصدرت تلك المجموعة العديد من الكتيبات مثل «القضية الفلسطينية قضية مركزية لماذا؟» ومثل «التحدى الاستعمارى الصهيونى وجهة نظر إسلامية» . ومثل «هل فى الإسلام ثورة؟» . ومثل «التجربة الفلسطينية من منظور إسلامى» وغيرها .. وكان سيد نصير فى قلب هذا التيار كان يسأل معنا العديد من الأسئلة التى باتت جزءا من تكويننا وملامحنا وبصماتنا . هل جئنا من السياسة إلى الإسلام أم جئنا من الإسلام إلى السياسة ؟ هل جئنا من فلسطين إلى القرآن أم جئنا من القرآن إلى فلسطين؟ هل فلسطين مجرد وطن سليب أم هى جوهر الصراع بين الإسلام والاستكبار؟ .. وفى الحقيقة فإننا شاهدنا فلسطين، شاهدناها فى قلب القرآن، شاهدنا رحلة الإسراء ذات الساعات القليلة صورة إلهية

لتاريخنا الممتد ألف وأربعمائة عام من مكة والمدينة إلى بيت المقدس من محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يتنزل إلى محمدصلى الله عليه وسلم والقرآن قد اكتمل منهجاً قويماً وفاعلاً من بنى قريظة إلى الليكود من حراء إلى كامب ديفيد .. من وعد الأولى إلى وعد الآخرة من جاسوا خلال الديار إلى ليسؤوا وجوهكم من القرآن .. إلى القرآن . لم نكن وسطاً حسابياً بين الإسلام والوطنية ولكنه الجدل الممتد من المطلق إلى التاريخ .. من القرآن إلى فلسطين ، الجدل الذى لا يعرف فواصل العجزة .

عاش سيد نصير معنا هذا كله ، وانعكس ذلك بصورة أقوى على وجدانه لأنه وجدان فنان ذو حس مرهف . ورحل سيد إلى أمريكا فى يوليو ١٩٨٧ ورحل آخرون معه إلى أمريكا ورحل البعض إلى

أوروبا أو الخليج وكنا على موعد مع أحداث سبتمبر ١٩٨١ حيث قام السادات باعتقال العديد من قيادات ورموز الحركة الإسلامية وأوقفت العديد من المجلات الإسلامية وكان لابد أن نفعل شيئاً ، وقررنا أن نتحرك واتصلنا بقيادات الجهاد والجماعة الإسلامية بهدف التنسيق فى عمل سياسى محدد . وكنا قد اخترنا طريق النضال السياسى السلمى . اقترحنا عليهم عمل اعتصام بجامع الأزهر وتوزيع عددا من المنشورات . وقالوا لنا انهم يعدون لعمل أكبر من هذا ، واحترمنا وجهة نظرهم ولم نسألهم المزيد من التفاصيل . وقام هؤلاء بأحداث أكتوبر ١٩٨١ التى تم بموجبها إعدام السادات أثناء العرض العسكرى فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ . وتم السيطرة على مدينة أسيوط ثم كان ما كان وتم اعتقال عناصر الجهاد والجماعات

الإسلامية . وكان لابد أن تطالنا الاعتقالات وقرر البعض الرحيل عن مصر وخاصة الفلسطينيين هروباً من حملة الاعتقالات واستقر هؤلاء فى الأرض المحتلة حيث شكلوا حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين التى تلاقت مع عناصر تحمل نفس الفكرة وخرجت تلك الحركة كتيار قوى يعمل ضد الكيان الصهيونى ونفذت الحركة العديد من العمليات الفدائية ضد الكيان الصهيونى وخاصة عملية إعدام القائد الإسرائيلى لقطاع غزة ، وعملية جعفانى التى تم بموجبها قتل كتيبة صهيونية كانت تقوم بمراسم تقليدية أمام حائط المبكى(١٤) وتصاعدت عمليات حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين ما بين طعن بالسكين أو الخنجر للجنود الصهاينة وما بين إلقاء الخطب فى المساجد أو التظاهر أو توزيع المنشورات أو إصدار

المجلات مثل : النور ، الطليعة .. وغيرها وكانت عملية تفجير الانتفاضة الثورة فى عام ١٩٨٧ هى ذروة العمل النضالى لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين.

أما الآخرون الذى بقوا فى مصر فقد طالتهم حملة الاعتقالات التى أعقبت أحداث المنصة وأسيوط وتم تحويل البعض إلى المحاكمة بتهمة الانتماء إلى تنظيم الجهاد الإسلامى وتم التحقيق مع البعض الآخر فى القضية ٢٩٥ لسنة ١٩٨٣ حصر أمن دولة عليا حيث رأت النيابة أن تفرد لعناصر الطلائع قضية خاصة بهم لأنهم تيار سياسى متميز عن تنظيم الجهاد . وانتهى أمر قضية الطلائع المسجلة برقم ٢٩٥ لسنة ١٩٨٣ حصر أمن دولة عليا بحفظ التحقيق حيث لم يكن هناك فعلاً مادياً محدداً يمكن أن ينسب إلى هذه

المجموعة ، وتم الإفراج عن عناصر هذا التيار الذى أطلقت عليه المباحث اسم «الطلائع» تمييزا لهم عن تنظيم الجهاد .

وانخرط آخرون فى التيار وخاصة طلاب الجامعة وشهدت أعوام ٨٥ ، ٨٦ نشاطا متزايداً لهذه العناصر فى جامعتى القاهرة والزقازيق بالتحديد من خلال توزيع المنشورات التى تعكس التضامن مع الشعب الفلسطينى وتندد بالاختراق الصهيونى لمصر وبعملية التصالح مع الكيان الصهيونى أو تعبر عن التضامن مع العمال وخاصة عمال اسكو والمحلة الكبرى الذين كانوا يمارسون الإضراب دفاعاً عن حقوقهم فى ذلك الوقت «عام ١٩٨٥» . ثم جاءت عملية سليمان خاطر ووصلت إلى ذروتها فى يناير ١٩٨٦ عندما مات سليمان خاطر فى السجن فى ظروف غامضة ولأن

سليمان خاطر ابن آخر من أبناء حركة الطلائع، حيث تأثر بأفكرها من خلال انتسابه إلى كلية الحقوق جامعة الزقازيق وهى الجامعة التى ضمت أكثر عناصر الطلائع عدداً ونشاطاً ، ولأن عملية سليمان خاطر تلتقى مع أفكار الطلائع كان من الطبيعى أن تسارع عناصر الطلائع الى تبنى قضية سليمان خاطر ونجحت فى تفجير انتفاضة طلابية وشعبية واسعة فى جامعات ومدن مصر وخاصة جامعتى القاهرة والزقازيق تضامناً مع سليمان خاطر ، ومن الطبيعى مع تزايد القيمة السياسية والنضالية لعناصر الطلائع وتصاعد نشاطها أن تعمل أجهزة الأمن على إجهاضها وتوجيه ضربة لها بعد أن رصدتها بوضوح فى انتفاضة سليمان خاطر عام ١٩٨٦ . وبالفعل تم اعتقال عدد من عناصر الطلائع عام ١٩٨٧ وتم التحقيق معهم فى

القضية ٤٠١ حصر أمن دولة عليا لسنة ١٩٨٧ .

* * * * *

ومن الضرورى هنا أن نحاول إلقاء الضوء على أفكار ورؤى حركة الطلائع لأنها هى نفسها أفكار ورؤى سيد نصير مما يحدد لنا الخلفية الفكرية والسياسية لسيد نصير .

ولعل اسم الطلائع وإن كانت أجهزة الأمن هى التى أطلقته على تلك الحركة ، يعطينا السمة الأولى لتلك الحركة ، فهى ترى أنها ليست بديلة عن الأمة بل هى طليعة لها وأن على الحركة الإسلامية ألا تتصرف كجماعة أو تنظيم مستقل يخوض معارك الأمة بل عليه أن يدفع الأمة لخوض معاركها بنفسها ، وأن كل مهمته أن يكون طليعة للجماهير فى تلك المعارك .

وترى حركة الطلائع ، أن النضال السياسى فرض عين على كل مسلم ومسلمة ومن أزالة كافة أشكال الإستكبار من على وجه الأرض سواء كان هذا الإستكبار فى صورة إستبداد سياسى أو ظلم اجتماعى أو دعوات ونعرات إقليمية أو قومية ضيقة الأفق يهدف الوصول إلى المجمع اللاطبقى ومجتمع الحرية والانتماء الإنسانى والأممي الشامل، وتنطلق الحركة فى هذا الفهم من تحليل عميق للإسلام باعتباره منهجاً متكاملاً وليس مجرد نصوص ممزقة لا رابط بينها .

فهى ترى أن الإسلام دين الفطرة ، وأن الله تعالى قد أخذ ميثاق الفطرة على الناس جميعاً قبل أن يستخلفهم فى الأرض " إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين "(١٥) . أى أن معرفة الله تعالى مركوزة فى

الفطرة ولا تحتاج إلى أى دليل من خارجها ولكن فقط منع تشويه تلك الفطرة وتحقيق حرية الاختيار للناس . ومن ناحية أخرى فإن الله تعالى قد خلق الكون ووضع فيه من الآيات ما يجعل الإنسان يهتدى إلى معرفة الله تعالى بسهولة ويسر وبأقل قدر من التفكير ، بالإضافة طبعاً إلى أن الله تعالى قد زود الإنسان بالعقل وجعله قادراً على التمييز والوصول إلى معرفة الله تعالى باستخدام ملكة التفكير بهذا العقل ، إذن فالفطرة والعقل والكون وكل شىء يقود إلى الله تعالى . وإذا ما تحققت شروط الاختيار الحر فإن الإنسان يختار الإسلام بدون أى صعوبة . أى أن المسألة لا تحتاج إلى إقناع بقدر ما تحتاج إلى إزالة ما يحول بين الإنسان وبين فطرته أو عقله أو الكون وآياته ، ولكن من جهة أخرى فإن القوى الشيطانية تحاول منع الإنسان من الاختيار الحر عن طريق

الاستبداد السياسى الذى يمنع الناس من حرية التفكير وحرية الاجتماع والحوار ويقهرهم على نوع واحد من الفكر الذى تراه السلطات . وفى مواجهة هذا الاستبداد فإن على المسلمين عموماً والحركة الإسلامية ، خصوصاً أن تناضل من أجل حرية الفكر ، حرية إبداء الرأى ، حرية الاجتماع ، حرية الحوار .. وغيرها من الحريات ، لأنها بذلك تعطى للناس فرصة الاختيار الحر فإذا هم يختارون الإسلام ببساطة لأنه دين الفطرة والعقل .

وكذلك تقوم القوى الشيطانية بحرمان الجماهير من حقوقها الاقتصادية والاجتماعية وتستأثر بالنصيب الأكبر من الثروة وتترك للجماهير الفتات . فإذا المجتمع منقسم إلى مترفين ومحرومين والترف بطبيعته يقود إلى الطغيان والميوعة والانحلال وينشر فى المجتمع قيماً فاسدة والحرمان بدوره يجعل الجماهير

فى حاجة مستمرة تحول بينهم وبين التفكير الحر والاختيار الحر . وفى مواجهة ذلك الظلم الاجتماعى والاقتصادى فإنه على المسلمين عموماً وعلى الحركة الإسلامية خصوصاً أن تناضل من أجل حقوق الجماهير الاقتصادية والاجتماعية وأن تنحاز إلى الفقراء والمستضعفين والمحرومين وأن تعمل على بناء المجتمع اللاطبقى وتحقيق العدالة الاجتماعية .. وهى بهذا أيضاً تحقق للجماهير ظروف الاختيار الحر فإذا بهذه الجماهير تختار الإسلام .

والقوى الشيطانية أيضاً تسعى لنشر الأفكار المنحرفة مثل الولاء العشائرى أو الوطنى الضيق أو القومى الضيق أو المذاهب الهدامة فلسفياً واقتصادياً وسياسياً وعلى القوى الإسلامية أن تتصدى لهذا وتناضل من أجل الفكر الأممى والإنسانى الشامل إذ لا فرق بين عربى ولا عجمى إلا بالتقوى وأن كلكم

لآدم وآدم من تراب .

إذن فمفهوم الدعوة لدى حركة الطلائع هو النضال ضد الاستبداد السياسى والظلم الاجتماعى والاقتصادى والولاء القبلى والقومى والإقليمى الضيق . وليس مجرد مفهوم المناقشة أو الدعوة الفكرية ، لأن الجماهير والناس عموماً لا تحتاج لأحد ليعرفها بالله تعالى فهى تعرفه بالفطرة والعقل وآيات الكون الواضحة بل تحتاج إلى من يأخذ بيدها لانتزاع حقوقها وتحقيق ظروف الاختيار الحر .

وانطلاقاً من هذا تؤمن حركة الطلائع بأن الإسلام دين غير طائفى ، بل هو يدعو للدفاع عن المستضعفين أياً كانوا ، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين لأن انتزاع حقوق الناس يحقق لهم فرصة الاختيار الحر وهم بالفطرة والعقل وآيات الكون سيختارون الإسلام لأنه لم يحل بينهم وبين هذا الإسلام

إلا ظروف القهر الاجتماعى والاستبداد السياسى والولاء القبلى أو الطائفى أو العشائرى .

ولعل تلك الرؤية الهامة فى الدفاع عن المستضعفين هى التى جعلت عناصر الطلائع تهتم اهتماماً خاصاً بالدفاع عن قضايا العمال والفلاحين وتصدر عدداً من المجلات والمنشورات التى تؤكد على هذا المعنى مثل «صوت المستضعفين» ، «المناوبة» وهى ناطقة بلسان الفلاحين، حيث أن كلمة المناوبة تعنى فى أوساط الفلاحين المصريين نوبات الرأى ـ وهى التى جعلت عناصر الطلائع تتظاهر تضامناً مع عمال المحلة واسكو والسكة الحديد عامى ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ .

ومن الأشياء الملاحظة على نشاط الطلائع ، إنخراط عدد كبير من النساء فى نضالها الشعبى والطلابى . وهى سمة لفتت أنظار الكثيرين ، حيث أن الحركة ترى أن المرأة ليست كائناً مقدساً ولا كائناً ناقصاً بل

هى كائن مكلف مثل الرجل تماماً وأن عليها ـ أى المرأة ـ أن تناضل من أجل قضايا الأمة والجماهير والشعب .

ترى حركة الطلائع أن الصراع على أرض فلسطين ما هو إلا حلقة من حلقات الصراع الإسلامى ضد القوى الشيطانية ، وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد نجحت فى القضاء على الحضارات الاستكبارية فى المنطقة فى الثلاثة قرون الأولى ، فإنه لم يصمد أمامها حتى الآن إلا الحضارة الأوروبية ، وهى حضارة اغريقية(١٦) وثنية فى مضمونها ذات قشرة مسيحية ويمكن أن نطلق على تلك الحضارة الأوروبية الوثنية الاغريقية ذات القشرة المسيحية اسم الحضارة الصليبية .. وهى حضارة قامت على النهب والقهر وتدمير القيم ، فهى التى ارتكبت عملية إبادة الهنود الحمر ، وعملية قتل واسترقاق السود فى افريقيا «تم

قتل أكثر من ٥٠ مليون افريقى فى وقت كان فيه سكان انجلترا ٣ ملايين فقط أى بحساب اليوم أكثر من ١٠٠٠ مليون افريقى كان من الممكن أن يغيروا وجه افريقيا » !! وهى الحضارة التى قتلت وأبادت شعب الجزائر ، وشردت شعب فلسطين ، وأنه لا فرق فى ذلك بين اليمين واليسار أو الملكى والجمهورى فى إطار الحضارة الأوروبية .. فالملكيون الفرنسيون مثلاً عذبوا وقتلوا شعب الجزائر وكذلك الجمهوريون . وأيضاً أوساط اليمين الفرنسى واليسار أيضاً . بل إن مذبحة سنة ١٩٤٥ فى الجزائر والتى أبيدت فيها قرى جزائرية كاملة بالطيران الفرنسى تمت على يد حكومة اشتراكية كان وزير الطيران فيها شيوعياً ، وإسرائيل ذاتها تجد أكبر الدعم من أوساط الحركة الاشتراكية فى أوروبا ، بل ان عدوان ١٩٥٦ على مصر تم على يد حكومة العمال الإنجليزية وحكومة الحزب الاشتراكى

فى فرنسا وحكومة حزب العمل الإسرائيلى .

إذن فالصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية صراع ممتدفى الزمان والمكان . وهو صراع بين قوى الحق والعدل والحرية وتحرير الإنسان من الاستبداد والظلم وبين قوى الشر والنهب والقمع . وأن ذلك الصراع لم يهدأ يوماً ، فالحروب الصليبية لم تنقطع يوماً بدءاً من الصدام مع الدولة البيزنطية ومروراً بالحروب الصليبية فى الشرق . التى استمرت ثلاثة قرون وانتهاء بالاستعمار الأوروبى وإقامة دولة إسرائيل . بل ان الحروب الصليبية فى المغرب العربى لم تنقطع يوماً ، فقد بدأت قبل الحروب الصليبية فى الشرق واستمرت أثناءها واستمرت بعدها لدرجة أن البعض أطلق عليها حرب الألف عام(١٨) وما زال ذلك الصراع محتدماً حتى اليوم ضد أمتنا وحضارتنا على يد أمريكا وإسرائيل وحلفائهما كآخر إفراز

للحضارة الغربية .

إذن فإسرائيل ما هى إلا حلقة من حلقات ذلك الصراع الممتد فى الزمان والمكان ، وإقامة إسرائيل ذاته يستهدف القضاء على الحضارة الإسلامية ، وهو صراع حضارى فى جوهره وبالتالى فلا مكان للالتقاء هناك ، ولا مكان للتفاوض أو الحلول الوسط ، فأما حضارتنا ووجودنا ومصالحنا وأما نهاية لحضارتنا ووجودنا ومصالحنا ، إذن فلا هامش للتفاوض . لأنه لا شىء مشترك بيننا وبينهم . ومن هنا فإن الحركة الإسلامية ترى أن التفاوض والحلول الوسط مع إسرائيل ما هى إلا تلهية للجماهير والتفافاً حولها وأن نهج التفاوض نهج خائن أو متردد فى أقل الأحوال . وأن الطريق الوحيد لتحرير فلسطين هو حرب التحرير الشعبية والعقيدة الإسلامية ، ولابد من تحرير كامل التراب الفلسطينى من النهر إلى البحر ومن الجنوب

إلى الجنوب . وأن المعركة مع إسرائيل ليست معركة الفلسطينيين ولا معركة العرب وحدهم بل هى معركة كل الأمة الإسلامية .. ومن هنا جاء شعار الحركة «القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية» .

وترى حركة الطلائع أنه منذ أن تعرضت أمتنا للغزوة الصهيونية فى أواخر القرن الماضى وطوال هذا القرن فإن منهجين فى مواجهة تلك الغزوة قد تبلورا . المنهج الأول هو خط الجماهير والعلماء المجاهدين . وهو خط يرى أن التناقض بيننا وبين الكيان الصهيونى هو تناقض جوهرى لا يمكن حله إلا عبر الكفاح المسلح طويل المدى لإنهاء الحقبة الاستعمارية بكاملها وتدمير الكيان الصهيونى تماماً وبلا أدنى فرصة فى اللقاء على أى أرضية كانت وأن هذا الخط يستند إلى فهم طبيعة التحدى . فهم طبيعة وتركيب

وأهداف العنصر المعادى . فهم شروط وخصائص قوانا الذاتية ، ومن هذا المنطلق نرى أن الكيان الصهيونى كيان توراتى ـ استعمارى ـ استيطانى ـ عنصرى ـ فاشى . وأن التحدى هو تحد حضارى فى المقام الأول ، وأن قوانا الذاتية لا تنطلق إلا من خلال الإسلام لأن أمتنا لا تتحرك إلا من خلال هذا المنهج الذى شكل ملامحها الحضارية تماماً .

وبناء على ما تقدم كان خط العقيدة الإسلامية وحرب التحرير الشعبية طويلة المدى هو الشعار الذى اتخذته الجماهير والعلماء والمجاهدون دينا لها ومارسته منذ الوهلة الأولى ، فمنذ أن وطىء اليهود أرضنا فى فلسطين وقف الفلاحون يتصدون للغزاة فى قرية الخفيرة بفلسطين وقرية ملبس «تباح تكفا» عام ١٨٦٦ ، ثم ما لبث الكفاح أن تمخض عن ظهور عدد من المظمات التى خاضت غمار العمل المسلح مثل

جمعية الفدائية وغيرها مما أدى إلى اندلاع ثورة ١٩٢٠. ثم ثورة حائط البراق ١٩٢٩ . ثم ظهور منظمة الكف الخضر ١٩٢٩ ، وانتفاضة ١٩٣٣ ، ثورة الشيخ المجاهد عزالدين القسام ١٩٣٥ ، الثورة الشعيبة الكبرى سنة ١٩٣٦ ، القتال فى الأربعينات ، وعدد من عمليات العنف ، حرب ١٩٤٨ ، التى شارك فيها الاخوان المسلمين ، ظهور فتح «العاصفة» ١٩٦٥ ، معركة الكرامة ١٩٦٨ ، صمود السويس بقيادة الشيخ حافظ سلامة ١٩٧٣ وحرب رمضان عموماً كممارسات ضباط وجنود ، معارك لبنان وبيروت ١٩٨٢ ، الكفاح الإسلامى المسلح فى لبنان ضد الكيان الصهيونى فى الجنوب منذ ١٩٨٢ حتى الآن ، عملية سليمان خاطر ١٩٨٥ ، حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين وعملياتها الفدائية المتميزة بالخنجر والسكين والهروب من السجون وتفجير

الانتفاضة الثورة منذ ١٩٨٧ وحتى اليوم ، إعدام كاهانا ١٩٩٠ فى مدينة نيويورك .

أما المنهج الثانى فهو خط الأحزاب العلمانية والوجهاء وهم ذوى مصالح محددة ويبحثون عن صيغة اتفاق مع الكيان الصهيونى تحقق للطرفين نقطة اتفاق أو أنهم علمانيون تغريبيون لايجدون فى منطلقاتهم السياسية مبرراً لمواجهة إسرائيل حيث انهم مجرد افراز للفكر الغربى وهو نفس الفكر والحضارة اللذين أفرزا الكيان الصهيونى وبالتالى فليس هناك تناقضاً جوهرياً بين هؤلاء وبين الكيان الصهيونى وإنما هناك تناقض ثانوى يتسع ويضيق حسب معطيات ومعادلات الصراع فى المنطقة ، وطبيعى أن هذه القوى مترددة تقاتل بشكل جزئى لتحسين ظروف التفاوض ليس إلا ، أى أن الخط الأساسى لهذه القوى هو خط التفاوض ومحاولة البحث عن صيغة تعايش

مع الكيان الصهيونى ومن هنا فقد مارست تلك القوى والتى ظلت تحكم العالم العربى حتى الآن أسلوب الحلول الوسط والمفاوضات واللعب على التناقضات الثانوية ، ومنذ اليوم الأول للصراع نسمع عن مفاوضات لندن ١٩٢١ ـ الكتاب الأبيض البريطانى الأول والثانى ، مفاوضات رودس ١٩٤٩ ـ قرار ٢٤٢ ، ٣٣٨ ـ مبادرة روجرز ١٩٧٠ ـ كامب ديفيد ١٩٧٨ ـ مقررات قمة فاس ـ الحوار الفلسطينى الأمريكى .... الخ .

* * * * *

وهكذا نجد أن الخلفية الفكرية والسياسية لحركة الطلائع . والذى استمد منها السيد نصير رؤيته السياسية والفكرية من خلال حضوره ندواتها ومشاركته فى حلقات الحوار التى كانت تنظمها عناصر تلك الحركة ، يمكن أن تفسر لنا لماذا قام السيد

نصير بعملية إعدام كاهانا .. فإذا أضفنا إلى ذلك التركيبة النفسية والشخصية للسيد نصير . الهادى ، الوديع ، الفنان ، المتدين ، والظروف الاجتماعية والبيئية التى نشأ فيها السيد نصير ، وهى ظروف البيئة الشعبية المصرية ذات الوجدان الدينى المفعم الكاره لليهود وكيدهم ، وكذلك ظروف الاحتكاك مع الكيان الصهيونى مبكراً من خلال حرب ١٩٦٧ ، وصمود بور فؤاد لمحاولات الجيش الصهيونى لاحتلالها برغم احتلال ذلك الجيش لكل الضفة الشرقية للقناة ، وكذلك آلام التهجير النفسية وانعكاسها على وجدان وتفكير السيد نصير . لاستطعنا أن نؤكد أن عملية إعدام كاهانا لم تأت من فراغ ، وأنه كان لها أسبابها الشخصية والسياسية لدى السيد نصير ، وأنها كانت عملية مدبرة من قبل السيد نصير وأنه كان هناك سبق إصرار عليها وأنها لم تأت

عفواً أو تأتى كرد فعل مباشر على خطاب كاهانا فى نيويورك ، فلو لم يكن السيد نصير قد نوى ذلك العمل لما ذهب أصلاً إلى الفندق ولما حمل معه سلاحاً غير مرخص .

ولعل ذلك التفسير ، ووضع الأمور فى نصابها الطبيعى وظروفها الموضوعية هو ما تحاول أجهزة الإعلام الغربى والأوساط الأمنية والسياسية الأمريكية أن تطوقه وتحجبه عن الرؤية والسماع وذلك لسحب الآثار السياسية للحادث التى هى بالقطع لصالح دفع جموع الأمة للتصدى والرفض والعنف ضد الكيان الصهيونى أو فى مواجهة الكيان الصهيونى والاستكبار الأمريكى .. وهى أمور لا يريد لها الأمريكيون والإسرائيليون أن تصبح نمطاً من السلوك الطبيعى لدى جماهير الأمة الإسلامية وخاصة من المصريين الذين تريد لهم أمريكا وإسرائيل أن يكونوا

خارج معادلة الصراع .

وهكذا لم يكن غريباً أن تدعى تلك الأوساط أن سيد نصير مجنوناً أو تدعى أوساط أخرى أنه ليس مصرى الجنسية . لأن تلك الأوساط لا تريد لهذا السلوك أن يكون نموذجاً ، ولا تريد لمصر بثقلها الشعبى والتاريخى أن ينخرط أبنائها فى مواجهة مع النفوذ الأمريكى والإسرائيلى والإنخراط فى خندق المواجهة بالعنف المشروع ضد عنف واستكبار اليهود والأمريكان .

ومن الأفضل لهم طبعاً ـ وهذا سلوك تقليدى لهم ـ أن يدعوا أن سيد نصير شخص مجنون ، مثلما ادعوا من قبل أن سليمان خاطر مجنون وكل هذا من أجل تطويق الآثار السياسية للحادث مصرياً وعربياً وإسلامياً وهى أثار خطيرة على المشروع الأمريكى والصهيونى فى المنطقة .

والحقيقة التى لا تقبل الشك ، أن سيد نصير بتركيبته النفسية السوية وحسه الفنى المرهف والتزامه الإسلامى الواضح ، وبظروفه الاجتماعية الأسرية وظروف نشأته فى مدينة الصمود «بور فؤاد » وظروف التهجير بعد حرب ١٩٦٧ ثم بخلفيته السياسية والفكرية التى تبلورت من خلال احتكاكه بجماعةشباب الإسلام وحركة الطلائع كان مرشحا لأن يقوم بهذا العمل ، فإذا ما جاءت أحداث مذبحة الأقصى التى راح ضحيتها ٢١ شخصاً فى ٨ أكتوبر ١٩٩٠ والتى أدت إلى بكائه ، أى أنها فجرت كل التراكمات الشخصية والبيئية والسياسية بداخله ، كان من الطبيعى أن يقرر سيد نصير أمراً وأن يعد له العدة وأن ينفذه بعد أقل من شهرين من نزول دموعه على شهداء الأقصى .

على أن أكثر ما يغيظ فى المسألة هو إطلاق وصف

الإرهاب على سيد نصير ، وكأن الدفاع الشرعى عن الوجود والرد على أعمال إسرائيل عموماً وكاهانا خصوصاً أمر محرم علينا ، ولكن الأوساط الأوروبية والأمريكية التى تطلق على النضال والجهاد والعنف المشروع كلمة إرهاب، وتتغاضى عن ممارسات إسرائيل القمعية فى الأرض المحتلة ، تتغاضى عن القتل والطرد والتشريد ونسف البيوت والتعذيب فى السجون الصهيونية وتتغاضى عن الاعتداء على المقدسات الإسلامية وتتغاضى عن احتلال وطن بأكمله وأجزاء من بلاد أخرى ، إنماتكشف عن نفسها وعن معاييرها المزدوجة فى التعامل معنا وتكشف زيف قيمها وحضارتها وتكشف عداوتها العميقة لكل ما هو إسلامى .

حركة كاخ العنصرية ـ

نموذج متكامل للمجتمع الإسرائيلي

«قبضة سوداء على خلفية صفراء» ـ «أعطونى القوة لكى أتصرف مع العرب بصورة نهائية» ـ «العرب كلاب مقززون وطردهم واجب دينى» ـ «غير اليهودى ليس له أى حق سياسى» .. تلك هى نماذج من شعارات حركة كاخ أو الحركات المتطرفة فى إسرائيل ، أو قل هذه هى الشعارات الحقيقية للمجتمع الإسرائيلى عموماً .

تأسس حزب كاخ على يد مائير كاهانا سنة ١٩٧٢ أى بعد عام واحد من هجرة كاهانا إلى إسرائيل ، ومعظم أعضاء حركة كاخ من الشباب الصهيونى

المتطرف. وتقوم أفكار هذا الحزب على سيادة اليهود على كل أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات ، ويرفض إعادة أى جزء من الأرض لغير اليهود ، وفرض السيادة اليهودية يتحقق عن طريق هجرة اليهود من كل أنحاء العالم إلى إسرائيل ومصادرة أراضى الفلسطينيين وإخراج كل العرب من الأرض المحتلة ومن يرفض هذا فلابد من قتله ، وأن حدود إسرائيل فهى من النيل إلى الفرات والأردن هى الأرض الشرقية لإسرائيل !!

ويمكننا أن نفهم أفكار هذا الحزب بصورة أكثر وضوحاً من خلال مؤلفات وأطروحات الحاخام مائير كاهانا نفسه مثل كتاب «أشواك فى عيونكم» وكتاب «الإيمان والخلاص» وكتاب «عليهم أن يرحلوا»[١٩] . حيث يرى كاهانا أن غير اليهود هم حيوانات ولدت من ذرية الحصان وهو لا يشير إلى العرب إلا بقوله

«الكلاب المقززين» .. ويؤكد كاهانا أن طرد العرب وسيادة إسرائيل المطلقة على كل الأراضى من النيل إلى الفرات هو واجب دينى ويستشهد كاهانا بما جاء فى التوراة ليوضح المعنى الحقيقى لدولة إسرائيل وشعب إسرائيل : «لقد منحتك هذه الأرض لذريتك من نهر مصر "النيل" حتى النهر الكبير "الفرات" » لذا فإن إسرائيل غير قابلة للإبادة لأنها مقدسة اختارها الرب !! ويستطرد كاهانا أن الهدف واضح وهو أن كل من ليس يهودياً لا حق له فى البقاء أو الملكية والجنسية .

ويشرح كاهانا كيف يتم ذلك بقوله ان على الغرب أن يتعاون مع إسرائيل إذا أراد استمرار تدفق البترول من الشرق الأوسط عليهم أن يضغطوا على العرب أولاً ليندمج الفلسطينيون داخلهم ثم فليقبلوا بعد ذلك رحيل العرب إلى الغرب ليعملوا فى المهام الشاقة

لأن الغرب يحتاج إلى الأيدى العاملة العربية للعمل فى المهن المنحطة وعلى كل حال فليس حزب كاخ وحده وليس مائير كاهانا وحده ، فهناك مثلاِ حزب هاتخيا برئياسة جيئولا كوهين وقد تأسس عام ١٩٧٩ عقب توقيع معاهدة كامب ديفيد .

ويرفض حزب هاتخيا الاعتراف باتفاقية كامب ديفيد ويطالب بفرض السيادة اليهودية على ما يسميه بأرض إسرائيل الكبرى ، ويعتبر المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة حزاماً أمنياً إستراتيجياً لإسرائيل ، وبالنسبة لوجود الفلسطينيين يطرح حزب هاتخيا ثلاثة تصورات إما الإندماج داخل دولة إسرائيل وإعلان الولاء لها وإما الإقامة فى الدولة كأجنبى ، وإما الهجرة من إسرائيل، ويمارس هذا الحزب ضغوطا لزيادة الإستيطان فى الأراضى المحتلة وضم الجولان رسمياً لإسرائيل بعد أن قامت إسرائيل بضم

القدس رسمياً لإسرائيل واعتبرتها عاصمة لها[٢٠].

وهناك حزب تسوميت «الصهيونية المتجددة» ويرأسه الجنرال المتقاعد رافائيل إينان الذى شارك آريل شارون فى التخطيط لغزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا، وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٨٧ ويحظى الحزب بتأييد الشباب المتطرف من اليهود الشرقيين والغربيين على السواء . ويتخذ هذا الحزب شعار القضاء على أى مصدر يهدد الجنس اليهودى ويحول دون استمرار انتشاره ويدعو لضرورة التمسك بأرض إسرائيل الكبرى بما فى ذلك هضبة الجولان ، ويتميز إيتان مؤسس هذا الحزب بعنصريته الشديدة وكراهيته للعرب ويقول لن ينتصر علينا العرب بالحجارة وسنرد عليهم رداً صهيونياً ، سنبنى عشر مستوطنات مقابل كل حجر وعندما يصبح هناك مائة مستوطنة فى نابلس والقدس لن يستطيعوا رشق الحجارة» !!

ويرفض إيتان الاعتراف بما يسمى بالقضية الفلسطينية[٢١].

وهناك حزب موابيت «الوطن» وأسسه رحبعام زئيفى وهو من أعلى الأصوات التى تطالب بسياسة الترانزفير ، أى الترحيل الجماعى والمنظم للفلسطينيين من الأراضى المحتلة . ويقول زئيفى انه قد اضطر للعمل السياسى لأنه إذا لم يعمل على تطبيق الترانزفير فستخسر إسرائيل كل شىء[٢٢].

وبالإضافة إلى تلك الأحزاب هناك حركات عنصرية غير ممثلة فى الكنيست الإسرائيلى مثل جماعة جوش أمونيم وهى من أشد مؤيدى الإستيطان فى الأراضى العربية المحتلة على اعتبار ذلك من الناحية العقائدية إسهام مباشر فى عملية الخلاص وينتسب لتلك الحركة أكثر من عشرة آلاف شخص .

وفى الحقيقة فإن المسألة ليست مسألة أحزاب أو جماعات متطرفة بل ان المجتمع الإسرائيلى بكامله قائم على التطرف والعنصرية يستوى فى ذلك شامير وبيريز ، اليمين واليسار بل وحتى الملحدون . ويرى الأستاذ روجيه جارودى أن المجتمع الإسرائيلى مجتمع توراتى من حيث طبيعته وتوجهاته وسياساته ولا يختلف فى ذلك يمين أو يسار مؤمنون أو ملحدون . فجولدا مائير مثلاً وهى من حزب العمل تقول: «نشأ هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته ولهذا لايصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود »[٢٣].

أما بيجين زعيم كتلة ليكود فيقول : «لقد وعدنا الرب هذه الأرض ولنا الحق فيها »[٢٤].

أما موشى ديان «الملحد» فيقول: «إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغى أن

تمتلك أيضاً بلاد التوراة أرض أورشليم وحيرون وأريحا وأماكن أخرى»[٢٥].

وإذا كانت جميع الاتجاهات السياسية فى إسرائيل تنطلق من التوراة ، فإن المجتمع الصهيونى يجعل التوراة نفسها تحدد ثقافة الأطفال فى المدارس ، وكذلك الزواج فى إسرائيل زواج دينى كما لا يوجد فى إسرائيل دستور لأن التوراة هى القانون الأساسى للدولة ، والتوراة أيضاً تحدد من هو الإسرائيلى وتحدد حدود الدولة وتبرر الحرب والإرهاب[٢٦].

ويرى الأستاذ جارودى ـ أنه إنطلاقا من التوراة «المحرفة طبعاً» فإن اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وبقية العالم عبيد لهم ، وهى فكرة عنصرية تماماً وبالتالى فإن المجتمع الإسرائيلى مجتمع عنصرى حتى النخاع .

الهوامـــش



(١) كما وردت فى القاموس السياسى لدولة إسرائيل الصادر فى نيويورك .

(٢) أستعنا فى هذا الجزء بالتحقيقات الصحفية فى المصور ـ أخبار اليوم ـ الوفد ـ الشعب ـ الأهالى الصادرة فى الفترة من ٩ نوفمبر ١٩٩٠ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٩٠ والتى قام بها عدد من الصحفيين مثل إيهاب عبدالستار، عاطف حزين ، مجدى الدقاق ، قطب العربى ، أشرف خليل ، سليمان شفيق .

(٣) تحقيق صحفى ـ أخبار اليوم ـ ١٠/١١/١٩٩٠ ـ عاطف حزين .

(٤) نفس التحقيق السابق

(٥) نفس التحقيق السابق

(٦) تحقيق صحفى ـ الوفد ـ ٩/١١/١٩٩٠ ـ ايهاب عبدالستار

(٧) نفس التحقيق السابق

(٨) نفس التحقيق السابق

(٩) نفس التحقيق السابق

(١٠) نفس التحقيق السابق

(١١) تحقيق صحفى ـ الشعب ـ ١٣/١١/١٩٩٠ ـ قطب العربى ـ أشرف خليل.

(١٢) نفس التحقيق السابق

(١٣) نفس التحقيق السابق

(١٤) من المعروف أن أى كتيبة صهيونية جديدة يتم تشكيلها فى إسرائيل تقوم بمراسم دينية معينة أمام حائط المبكى .

(١٥) الآية رقم سورة

(١٦) يتم تعميد بابا الفاتياكان حتى اليوم بنفس طقوس تعميد كهنة المعابد الإغريقية القديمة

(١٧) أحمد بن بلا ـ حوار معرفى شامل

(١٨) بسام العسيلى ـ الثورة الجزائرية ـ دار النفائس ـ بيروت.

(١٩) مائير كاهانا ـ عليهم أن يرحلوا ـ عرض ميرفت دياب ـ الأهالى ١٤ نوفمبر ١٩٩٠.

(٢٠) نهال شريف ـ تحقيق صحفى ـ المصور ١٦ نوفمبر ١٩٩٠.

(٢١) نفس المرجع السابق

(٢٢) نفس المرجع السابق

(٢٣) جولدا مائير ـ تصريح صحفى لصحيفة لوموند الفرنسية ٢٥ مايو ١٩٧١.

(٢٤) تصريح لصحيفة دافار ١٤ ديسمبر سنة ١٩٨٧.

(٢٥) تصريح لصحيفة جيروزاليم بوست ١٠ أغسطس ١٩٦٧

(٢٦) التوراة المحرفة طبعاً ، لأن التــوراة الحقيقية لم تقــل هــذا .

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب٩٣٦٥/ ١٩٩٠